

التبيان في تفسير القرآن

(476) قوله تعالى: ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنني ملك ولا

أقول للذين تزددون أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا أ الله أعلم بما في أنفسهم إنني إذا لمن الظالمين (31) آية في هذه الآية تمام الحكاية عما قال نوح لقومه وحاجهم به، وهو أن قال لهم مضافا إلى ما مضى حكايته " ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنني ملك " والمعنى إنني لا أرفع نفسي فوق قدرها، فأدعي أن عندي خزائن الله من الأموال فأعطيكم منها وأستطيل عليكم بها، أو أقول إنني أعلم الغيب، أو أقول لكم إنني ملك روحاني غير مخلوق من ذكر وأنثى بخلاف ما خلقني الله، بل أنا بشر مثلكم وإنما خصني الله بالرسالة وشرفني بها. وقيل معنى خزائن الله مقدراته لأنه يوجد منها ما يشاء. وفي وصفها بذلك بلاغة. وقيل " لا أقول لكم عندي خزائن الله " فادعوكم إلى أن أعطيكم منها، ذكره ابن جريج. و (الغيب) ذهاب الشيء عن الإدراك، ومنه الشاهد خلاف الغائب. وإذا قيل: علم الغيب معناه علم من غير تعلم، وهو جميع الغيب، وعلى هذا لا يعلم الغيب إلا الله تعالى. وقوله " ولا أقول للذين تزددون أعينكم " أي لست أقول للذين احتقرتهم أعينكم. و (الازدراء) الافتعال من الزراية، يقال: زريت عليه إذا عبتة، وازريت عليه إذا قصرت به، والازدراء الاحتقار. وقوله " لن يؤتيهم الله خيرا " معناه لا أقول لهؤلاء المؤمنين الذين احتقرتموهم أنهم لا يعطيهم الله في المستقبل خيرا من أعمالهم، ولا يثيبهم عليها، من حيث لا علم لي بباطنهم بل الله أعلم بما في أنفسهم، هل هم مؤمنون في باطنهم أم لا، ومتى قلت لا يعطيهم خيرا كنت إذا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم.